بدأ صدورها في 2012م الرقم الدولي: 2321-7928

مـجـلـة الهـــند

مجلة فصلية محكّمة

المجلد: 9 العددان: 2-3

أبريل-سبتمبر 2020م

تصدر عن

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

ISSN: 2321-7928

دلالات الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة

دراسة بيانية تحليلية

- د. محمد وسيم خان[1]

ملخص البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمة أشاد فيها الباحث بأهمية الموضوع، وبيّن أسباب اختياره، وذكر الدراسات السابقة عن الموضوع، وهدف البحث، وخطته، والمنهج المتبع فيه، وختمها بكلمة الشكر. ثم قسم الباحث بحثه إلى ثلاثة مباحث أولها نص سورة الفاتحة، وثانيها دراسة الألفاظ، وثالثها دراسة التراكيب في السورة.

وقد ركّز الباحث على الدِّلالات اللغوية والبيانية، وما احتوت عليه الحروف والكلمات المفردة في ذاتها من معانٍ عميقة دقيقة، وإشارات لطيفة عجيبة، وعني ببيان الألفاظ، وشرح التراكيب، وما اشتملت عليه من مفاهيم ودلالاتٍ.

وقد مضى الباحث ملتزمًا في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، محاولًا من خلاله الوصول إلى الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، وهو إبراز الجوانب البلاغية والكشف عن الوجوه البيانية في سورة الفاتحة من خلال دلالات الألفاظ والتراكيب، جامعًا بين الدراسة اللغوية الدلالية والدراسة البيانية البلاغية، ملتزمًا بهما؛ لما فيهما من ربط مباشر وثيق غير قابل للانفصال للكشف عن جماليات القرآن ودقائقه اللغوية، وعجائبه البيانية، ولطائفه البلاغية، معتمدًا على أقوال المفسرين واللغويين والبيانيين.

وانتهى الباحث من خلال البحث والدراسة للموضوع إلى نتائج رصدها في خاتمة البحث.

---

[1] أستاذ مساعد في البلاغة العربية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه دراسة بيانية تحليلية للألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة، وهي تحاول كشف بعض ما فيها من أسرار البيان، وجمال الأسلوب، وبلاغة التعبير مستعينة بالنظر في كتب علماء التفسير، واللغة، ومن عُنُوْا ببيان جماليات التعبير القرآني.

وقد ربطت فيها بين اللغة والبلاغة وبين الدلالة والبيان؛ حيث قمت بتحليل الحروف والكلمات، والمفردات والتراكيب، والكشف عما فيها من بلاغة وبيان؛ إذ تتجلى فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وبيانه بداية من اختيار الحروف والكلمات، ثم الجمل والنظم والتأليف.

أهمية الموضوع: يكفي لأهمية هذا الموضوع أنه متعلق بالقرآن، بل بأمّ القرآن، يكشف عن بعض ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من المعاني الجليلة، والمطالب العالية، وينقب عن بعض ما احتوت عليه من ألوان البلاغة والبيان، وتتلخص أهميته في النقاط التالية:

1. أنّ الموضوع متّصل بالقرآن الكريم اتصالًا مباشرًا يبحث فيه، ويكشف عن بعض جمالياته.
2. وأنه متعلق بسورة عظيمة من سور القرآن، وهي سورة الفاتحة التي هي فاتحة الكتاب وأمّ القرآن.
3. وأنه يبحث في جانب يتصل بإعجاز القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع: هذه الأسباب السابقة الكاشفة عن أهمية هذا الموضوع، ورغبتي في دراسة آيات القرآن دراسة تحليلية تنمي الذوق، وتساعدني

على الوقوف عند دقائق القرآن اللغوية، وجمالياته البيانية؛ دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع للدرس والبحث.

الدراسات السابقة: أفنى العلماء أعمارهم في دراسة القرآن وتفسيره والعناية به من جوانب مختلفة، ولا يزالون يستمرون في ذلك مبتغين به وجه الله تعالى.

وعلى هذا فإنّ مؤلفات التفسير اللغوي والبياني وكتب إعراب القرآن على العموم تعدّ من الدراسات السابقة لهذه السورة حيث تناولتها من جوانب مختلفة.

وأخص بالذكر هنا الكشاف للزّمخشري (ت 538هـ)، والتفسير الكبير للرّازي (ت 604هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)، والدر المصون للسمين الحلبي (ت 756هـ)، وروح المعاني للآلوسي (ت 1270هـ)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (ت 1393هـ)، وأضواء البيان للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ) رحمهم الله جميعًا؛ لما لها صلة أقوى بمضمون هذه الدراسة والبحث؛ إذ تكشف عن جماليات التعبير القرآني بشكل واضح ملموس.

ثم هناك دراسات خاصة تناولت هذه السورة أو جزءًا منها بالشرح والتفسير والبيان، وهي كثيرة، وأذكر منها ما لها صلة مباشرة بالموضوع، وهي:

- بدائع الفوائد لابن القيم (ت 751هـ).
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل للدكتور فاضل صالح السامرائي.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى إبراز الجوانب البلاغية والكشف عن الوجوه البيانية في سورة الفاتحة من خلال دلالات الألفاظ والتراكيب.

خطة البحث: اشتملت خطة البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، والخاتمة، والفهرس.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه، وكلمة الشكر.

المبحث الأول: نص سورة الفاتحة.

المبحث الثاني: دلالات الألفاظ في سورة الفاتحة، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: لفظ الجلالة (ٱللَّهِ) ودلالاتها البيانية.

المطلب الثاني: صفتا (ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): دلالاتهما البيانية، والفائدة في اقترانهما.

المطلب الثالث: كلمة (ٱلۡحَمۡدُ)، وما فيها من دلالات، والفرق بينها وبين الشكر.

المطلب الرابع: دِلالات كلمتي (رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) البيانية، وما في كلمة (ٱلۡرَبِّ) من الدقة والإيحاء.

المطلب الخامس: دلالات كلمة (مَٰلِكِ) و(ٱلدِّينِ) البيانية في قوله تعالى: (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)، والدقة في إضافة الملك إلى اليوم، وما يحمل التعبير ب(يَوۡمِ ٱلدِّينِ) من المعاني والإيحاءات.

المطلب السادس: دلالات (العبادة) و (الاستعانة) البيانية في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ)، والحكمة من الاقتران بينهما.

المطلب السابع: دلالات (الهداية) البيانية في قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ).

المطلب الثامن: دلالات (ٱلصِّرَٰطَ) و (ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) البيانية في قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ).

المطلب التاسع: دلالات (أَنۡعَمۡتَ) و (ٱلۡمَغۡضُوبِ) و (ٱلضَّآلِّينَ) البيانية في قوله تعالى: (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ).

المبحث الثالث: دلالات التراكيب في سورة الفاتحة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالات تركيب (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) في قوله تعالى: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ).

المطلب الثاني: دلالات التراكيب في قوله تعالى: (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ).

المطلب الثالث: ارتباط قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) بأول السورة، ووسطها، وآخرها، وما في ذلك من دلالات لطيفة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث والدراسة.

الفهرس: ويشمل قائمة المصادر والمراجع

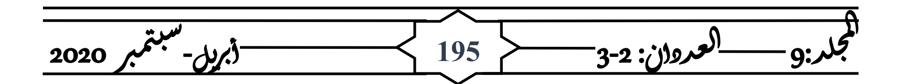
منهج البحث: اتبعت في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، وقمت في أثناء تطبيقه بمراعاة ضوابط البحث العلمي من العزو، والتخريج، والتوثيق، ووضع علامات الترقيم في مكانها المناسب، وضبط ما يحتاج إلى ضبط إلى غير ذلك من الأمور التي ينبغي للباحث مراعاتها.

كلمة الشكر: أشكر الله عزّ وجلّ أولًا وآخرًا على ما وفّقني للقيام بهذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز.

كما أقدّم جزيل الشكر ووافر الامتنان لكل من له يد بيضاء كريمة في إخراج هذا العمل في هذه الصورة، فجزاهم الله أيضًا خير ما يجازي به عباده الصالحين.

وفي الختام أدعو الله أن يرزقني الفهم والبصيرة، ويهديني إلى الصراط المستقيم، ويجعل القرآن ربيع قلبي، ويثبتني على تلاوته، والتأمل فيه، ويلهمني رشدي، ويوفقني لما يحبه ويرضاه.

كما أدعو الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ويرزقه القبول، ويوفّقني في الدنيا والآخرة. إنّه ولي التوفيق.



المبحث الأول

نص سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

المبحث الثاني

دلالات الألفاظ في سورة الفاتحة

المطلب الأول: لفظ الجلالة (اللَّه)، ودلالاتها البيانية: لفظ الجلالة (اللَّه)، اسم معروف لرب العالمين جلّ في علاه. وقد اختلف علماء اللغة في اشتقاقه على أقوال كثيرة. فقال الفيروزآبادي: "واختلف فيه- يعني: لفظ الجلالة- على عشرين قولًا".[1] وقال أبو الوفاء نصر الهوريني معلِّقًا عليه: "قال شيخنا: بل على أكثر من ثلاثين قولًا، ذكرها المتكلمون على البسملة".[2] وأشهر الأقوال فيها ما يأتي:[3]

القول الأوّل: وهو قول أبي بكر ابن دريد صاحب "الاشتقاق"، قال: "فأمّا اشتقاق اسم الله عزّ وجلّ فقد أقدم قوم على تفسيره، ولا أحبّ أن أقول فيه شيئًا".[4]

والقول الثاني: إنّ أصله "إله"، ثم دخلت الألف واللام عليه فصار "الإله"، ثم حذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام فصار "اللَّه". فالألف واللام عوض عن

[1] القاموس المحيط مادة "أله"، ص 1250.

[2] حاشية الهوريني على القاموس المحيط مادة "أله"، ص 1250.

[3] تنظر هذه الأقوال بالتفصيل في تفسير أسماء الله الحسنى، ص 25-26، والمخصص، 135/17-151، وسفر السعادة، 7/1-16، والجامع لأحكام القرآن، 157/1-159، والتحرير والتنوير، 162/1-165.

[4] الاشتقاق، ص 11.

الهمزة. وهذا رأي سيبويه.[1] وقال غيره مؤيّدًا له: إنّ أصله "إله"، وهو مشتق من أَلِهَ الرّجلُ يألَهُ إليه: إذا فزِعَ إليه من شرّ نزل به، فألَهَه، أي: أجاره وآمنه،[2] فسمّي إلهًا. وقال الآخر: إنّ أصله "إله"، وهو مشتق من "أَلِهَ يَأْلَهُ": إذا تحيَّر؛[3] لأنّ العقول تتحير عند التفكر في جلاله.

والقول الثالث: إنّ أصله "لاهَ" على وزن فَعَلَ، مثل ضرب، ثم دخلت عليه الألف واللام تعظيمًا لله عزّ وجلّ وإبانة له عن كل مخلوق، فهو اسم وإن كان فيه معنى فِعْل. وقرأ ابن عباس (ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ)،[4] أي: وعبادتَك؛ لأنهم كانوا يعبدون فرعون.

والقول الرابع: إنّ أصله "وِلاه"، فأبدلت الواو همزة، فصارت "إله"، وهو مشتق من الوَلَه، بمعنى الحب والاشتياق الشديد:[5] لأنّ قلوب العباد تَوْلَه إليه.

ونجد عند التأمل أنّ كل هذه المعاني والصفات موجودة في ذات الله تعالى: فهو معبود يعبده الخلق، ويفزعون إليه عند الشدائد والنوازل، وهو محبوب لدى عباده الصالحين: يحبونه ويطيعون أمره، كما تتحير العقول عند التفكر في جلاله، وفي بديع صنعه، وعجيب خلقه، وعظيم قدرته.

والقول الخامس: ذهب جماعة من أهل العربية والفقهاء- منهم الإمام أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن، والإمام الشافعي رحمهم الله- إلى أنه علم غير مشتق، ولا يجوز حذف الألف واللام عنه، كما يجوز من الرّحمن والرّحيم، وإليه ذهب الخليل، والفيروزآبادي.[6]

---

[1] ينظر: الكتاب، 2/195-196.

[2] ينظر: القاموس المحيط مادة "أله"، ص 1250.

[3] المصدر نفسه، ص 1250.

[4] سورة الأعراف: 127. وينظر للقراءة: جامع البيان، 39/13، والمحتسب، 256/1، والبحر المحيط، 465/4.

[5] ينظر: لسان العرب مادة "وله"، 399/15-400.

[6] ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، ص 25، وسفر السعادة، 15/1، والجامع لأحكام القرآن، 159/1، والقاموس المحيط مادة "أله"، ص 1250.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "زعم السُّهيلي،[1] وشيخه أبو بكر ابن العربي أنّ اسم الله غير مشتق؛ لأنّ الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق.

ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر، فهو باطل.

ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألَمّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دالّ على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير، فإنّ هذه أسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء، فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه "اللَّه"؟

ثم الجواب عن الجميع: أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولّدَ الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلًا وفرعًا ليس معناه أنّ أحدهما تولّد من الآخر، وإنما هو باعتبار أنّ أحدهما يتضمنّ الآخر وزيادة.

وقول سيبويه: "إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء"،[2] هو بهذا الاعتبار، لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولًا، ثم اشتقوا منها الأفعال، فإنّ التخاطب بالأفعال ضروري، كالتخاطب بالأسماء، لا فرق بينهما.

فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي، وإنما هو اشتقاق تلازم، سمّي المتضمِّن- بالكسر- مشتقًا، والمتضمَّن- بالفتح- مشتقًا منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى".[3]

---

[1] ينظر: نتائج الفكر، ص 51.

[2] الكتاب، 12/1، وفيه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع".

[3] بدائع الفوائد، 39/1-40.

و(الباء) في (بِسۡمِ ٱللَّهِ) بمعنى الاستعانة؛ لأنّ الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بالبسملة.[1]

المطلب الثاني: صفتا (ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)، ودلالاتهما البيانية، والفائدة في اقترانهما: الرّحمن فَعْلان من الرحمة. وصيغة فَعْلان تفيد الدلالة على الحدوث والتجدد، وذلك نحو عَطشان وجَوعان، كما تفيد أيضًا الامتلاء بالوصف، فيقولون: غضبان لمن امتلأ غضبًا، وسكران لمن امتلأ سكرًا.[2]

والرحمن علم وصفة، وهي من الأعلام الخاصة بالله، فلا يجوز لأحد أن يسمي نفسه بالرحمن، فهو في هذا الباب كلفظ الجلالة، بخلاف الصفات الأخرى كالرحيم والكريم وغير ذلك، فإنه لا بأس بالتسمي بها، وشتان بين الموصوفين.[3]

والرحيم فعيل من الرحمة. وصيغة فعيل تدل على الثبوت في الصفة، نحو طويل وجميل، كما تفيد التحول في الوصف إلى ما يقرب من الثبوت، نحو خطيب وبليغ وكريم.[4]

فجاء بالوصفين للدلالة على أنّ هذه الصفة ثابتة فيه ومتجددة، وأفاد بالجمع بين الوصفين ما لم يفده عدمه.

فلو وصف نفسه بأنه رحمن فقط لوقع في النفس أنّ هذا الوصف غير ثابت، كالغضبان والعطشان، والواقع ليس كذلك؛ فإنه يغضب ولكنه رحيم بعباده، ورحمته وسعت كلَّ شيء، بل غضبه أيضًا مقرون برحمته.

ولو وصف نفسه بالرحيم فقط لوقع في النفس أنّ هذا وصفه الثابت، والواقع أنه قد يأتي وقت لا يرحم فيه، كالكريم قد لا يكرم، والخطيب قد لا يخطب.[5]

---

[1] ينظر: مغني اللبيب، ص 105.

[2] ينظر: معاني الأبنية في العربية، ص 78-82.

[3] ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، ص 28، وبدائع الفوائد، 1/40-42، والقول المفيد، 2/260.

[4] ينظر: معاني الأبنية في العربية، ص 53-54، و65-67، و83-88.

[5] ينظر: لمسات بيانية، ص 34.

فالله عزّ وجلّ متصف بصفة الرحمة الثابتة والمتجددة، وهذه الصفة هو موصوف بها كما يليق بجلاله.

وقال السهيلي: "وفائدة الجمع بين الصفتين الرّحمن والرحيم الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة، وخاصة وعامة".[1]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما السهيلي: وهو أنّ الرحمن دالّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دالّ على تعلقها بالمرحوم. فكان الأول للوصف، والثاني للفعل.

فالأول دالّ على أنّ الرحمة صفته، والثاني دالّ على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: (وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)،[2] (إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ).[3]

ولم يجئ قط "رحمن بهم"، فعلم أنّ "رحمن" هو الموصوف بالرحمة، و"رحيم" هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفّست عندها مرآةُ قلبك لم تَنجلِ لكَ صورتُها".[4]

وقد ذكروا أنّ الرحمن عام للناس، والرحيم خاص بالمؤمنين، وتحصل في الدنيا كما تحصل في الآخرة.[5]

قال العلامة الشنقيطي: "هما- أي: الرحمن والرحيم- وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم؛ لأنّ الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا،

[1] نتائج الفكر، ص 53.
[2] سورة الأحزاب: 43.
[3] سورة التوبة: 117.
[4] بدائع الفوائد، 42/1.
[5] ينظر: أضواء البيان، 1/48-49.

وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة. وعلى هذا أكثر العلماء. وفي كلام ابن جرير الطبري ما يُفهَم منه حكاية الاتفاق على هذا".[1]

وقال السمين الحلبي بعدما ذكر الخلاف الواقع في أيهما أبلغ، الرحمن أو الرحيم؟ "والظاهر أنّ جهة المبالغة فيهما مختلفة، فمبالغة "فعلان" من حيث الامتلاء والغلبة، ومبالغة "فعيل" من حيث التكرار والوقوع بمحالّ الرّحمة".[2]

المطلب الثالث: كلمة (ٱلْحَمْدُ)، وما فيها من دلالات، والفرق بينها وبين المدح والشكر:

أولًا: دلالة (أل) في (ٱلْحَمْدُ): الألف واللام في الحمد لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق، أي: جميع أنواع الحمد لله عزّ وجلّ، أو للعهد، أي: الحمد المعهود بين الناس لله عزّ وجلّ.[3]

ثانيًا: دلالة كلمة (ٱلْحَمْدُ) والفرق بينها وبين المدح: الحمْد نقيض الذَّم،[4] وهو الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال.[5] وهو هنا أدقّ وأوفى بالمراد من المدح والشكر.

فأما من ناحية المدح فالحمد لا يكون إلا للحي العاقل، بخلاف المدح فقد يكون للحي العاقل وقد يكون للحي غير العاقل، كما يكون للجمادات أحيانًا، فقد تمدح إنسانًا، وقد تمدح حيوانًا، وقد تمدح جمادًا، ويستحيل أن تحمدها.[6]

فدلّ "ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ" أنّ الله حي، له الصفات العليا، والأفعال الجميلة يحمد عليها. ولو قال: "المدح لله" لم يفد شيئًا من ذلك. فالحمد أخصّ من المدح، وضده الذّم،

---

[1] المصدر نفسه، 1/47-48.
[2] الدر المصون، 1/33.
[3] ينظر: جامع البيان، 1/138-139، والبحر المحيط، 1/31، وفتح القدير، 1/19، والتحرير والتنوير، 1/159.
[4] ينظر: تهذيب اللغة مادة "حمد"، 4/434.
[5] ينظر: الكشاف، 1/51-52، والبحر المحيط، 1/31، وروح المعاني، 1/91-95.
[6] ينظر: البحر المحيط، 1/31، والتفسير الكبير، 1/178.

بخلاف المدح إذ ضده الهجاء.[1] وكذلك فإنّ في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح.[2] وكذلك فإن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، وأما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان.[3]

ومعنى ذلك: أنّ الحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات وفي الفعل، فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد، ولا يحمد من لم يفعل جميلًا، بخلاف المدح فقد يكون بغير ذلك، فتمدح إنسانًا ولم يفعل شيئًا من المحاسن والجميل.

ثالثًا: الفرق بين الحمد والشكر: وأما من ناحية الشكر فإنّ الحمد قد يكون لصنيعة جميلة حصلت لك، وقد يكون ابتداء لما هو حاصل من المحمود لغيرك أو ثابت فيه من الصفات العليا، والشكر لا يكون إلا ثناءً لِيَدٍ أوليتَها.[4]

كما أنّ الشكر خاص بالنعمة، ولا يكون على الصفات الذاتية، بخلاف الحمد فإنه يعم الجميع.[5] فكان اختيار الحمد أولى أيضًا من الشكر؛ لأنه أعم؛ إذ تُثني على الله عزّ وجلّ لنعمه الواصلة إليك، وإلى الخلق أجمعين، كما تثني عليه بصفاته العليا الذاتية، وإن لم يتعلق شيء منها بك.[6]

ولا يكون الشكر أعم من الحمد إلا من جهة ما يقعان به: فإنّ الشكر يقع باللسان وبغيره من الجوارح، والحمد لا يقع إلا باللسان. كما يكون الحمد أعم من الشكر- كما سبق- باعتبار ما يقعان عليه: فإنّ الشكر لا يكون إلا على نعمة أصابت الشاكر من المشكور له، بخلاف الحمد فإنه يكون على النعمة أصابت الحامد أو غيره، أو على الصفات الذاتية.

[1] ينظر: تهذيب اللغة مادة "حمد"، 434/4.
[2] ينظر: روح المعاني، 95/1.
[3] ينظر: التفسير الكبير، 178/1.
[4] ينظر: تهذيب اللغة مادة "حمد"، 434/4، والتفسير الكبير، 178/1-179.
[5] ينظر: لسان العرب مادة "حمد"، 133/4.
[6] ينظر: لمسات بيانية، ص 13.

ولما كان المقصود هو الثاني مراعاة للسياق فضله هنا على الشكر، كما أنّ الشكر فضله على الحمد في آيات أخرى كثيرة؛ لأنّ السياق اقتضاه.[1]

فثبت أنّ اختيار كلمة الحمد هنا كان أولى من كلمة المدح والشكر.

واللام الجارة في (لِلَّهِ) للاستحقاق،[2] أي: يستحقه الله عزّ وجلّ، وليست للاختصاص؛ لأنّ المدح ليس خاصًا بالله عزّ وجلّ، وليس للمِلْك وغيره من المعاني لعدم مطابقتها مقتضى الكلام.

المطلب الرابع: دِلالات كلمتي (رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) البيانية، وما في كلمة (الرب) من الدقة والإيحاء: قال ابن فارس: "الراء والباء يدل على أصول. فالأول لإصلاح الشيء والقيام عليه. فالرب: المالك، والخالق، والصاحب. والرب المصلح للشيء. يقال: ربّ فلان ضيعته، إذا أقام على إصلاحها...".[3] والربّ: المالك، والسيد، والمربي، والقيّم، والمنعم.[4]

وكلمة الرب إذا أطلقت انصرفت إلى الله عزّ وجلّ، وإذا أريد بها غيره أضيفت إليه غالبًا، فقيل مثلًا: رب البيت، ورب الدّابة.[5]

والعالمين جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى. ويجمع على العالمين للعقلاء أو لما غلب فيه العقلاء.[6]

ولا شك أنّ الله ﷻ رب العالمين، رب السموات والأرض وما بينهما. بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير. فربّ العالمين: مالكهم وسيدهم، ومربيهم، والمنعم عليهم.

---

[1] ينظر: الكشاف، 1/51-52، وفتح القدير، 1/19.

[2] ينظر: مغني اللبيب، ص 205.

[3] مقاييس اللغة مادة "رب"، 2/381.

[4] ينظر: لسان العرب مادة "ربب"، 5/95.

[5] المصدر نفسه، مادة "ربب"، 5/95.

[6] ينظر: أنوار التنزيل، ص 8، وفتح القدير، 1/21.

وكلمة الرب هنا دقيقة، لها من المعاني والإيحاءات ما لم توجد لو وضعت كلمة أخرى مكانها؛ فإنها تدلّ على أنه رب العالمين القائم على أمورهم، المدبر لشؤونهم، المصلح لأحوالهم، المنعم عليهم. وهو سيدهم، ومالكهم، وخالقهم، ورازقهم، يسمع لهم، ويعلم بهم إلى آخر ما هو من صفات الرب الذي يملك ناصية مربوبه.

وقد وقف بعض المفسرين عند هذا المعنى، فقالوا: ودخل تحت قوله: (رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) كثير من صفات الله تعالى كالعليم، والسميع، والبصير، والقيوم، والمريد، والملك، وما أشبه ذلك؛ لأنّ كل واحد من هذه الأسماء والصفات يطلب ما يقع عليه.[1]

كذلك فإن في كلمة الرب دلالة على أنّ جميع العالمين مفتقر إليه افتقارًا تامًا، في حال حدوثها وبقائها، كما يفتقر المربوب إلى ربه.[2]

كما أنّ في قوله: (رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) ردًا على اليهود الذين يدعون أن الله رب بني إسرائيل خاصة، وليس رب الخلق الآخرين من البشر، فرد عليهم بأنه رب العالمين جميعًا. فحسن اختيار (رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) من كل وجه.[3]

المطلب الخامس: دلالات كلمة (مالك) و(الدين) البيانية في قوله تعالى: (مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ)، والدقة في إضافة الملك إلى اليوم، وما يحمل التعبيرب(يَوْمِ ٱلدِّينِ) من المعاني والإيحاءات:

الدّين مشتق من دان يدين، قال ابن فارس: "الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلُّها. وهو جنس من الانقياد والذّل".[4] وسمّي يوم القيامة بيوم الدين- أي: يوم الجزاء والحساب- لما فيه من مظاهر الانقياد والذّل.[5]

[1] ينظر: روح المعاني، 108/1.
[2] ينظر: التفسير الكبير، 187/1.
[3] ينظر: لمسات بيانية، ص 34.
[4] مقاييس اللغة مادة "دين"، 319/2.
[5] المصدر نفسه، مادة "دين"، 319/2-320.

والله عزّ وجلّ مَلِك، ومالك لجميع الأشياء في جميع الأوقات، إلا أنه خصّص ذلك هنا بيوم الدّين لمعنى لطيف؛ وذلك- والله تعالى أعلم- لأنّ المُلْك والمِلْك الحاصلين في الدنيا لبعض الناس بحسب الظواهر يزولان، وينسلخ الخلق عنهما انسلاخًا تامًا ظاهرًا واضحًا في الآخرة، قال تعالى: (وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا)،[1] وينفرد سبحانه وتعالى ذلك اليوم بالملكية والملوكية انفرادًا لا خفاء فيه، قال جلّ في علاه: (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ)،[2] وقال: (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ)[3][4]

كما أنّ في إضافة الملك إلى اليوم- مع أنّ اليوم لا يُملَك، بل يُملَك ما فيه- معنى لطيفًا أيضًا: وهو أنّ ذلك يفيد العموم، فمالك اليوم مالك لكل ما اشتمل عليه من أمور مادية ومعنوية، فملكية اليوم هي ملكية لكل ما يجري ويحدث في ذلك اليوم، ولكل ما في ذلك اليوم، ولكل من في ذلك اليوم، فهي إضافة دقيقة في مكانها لا تقوم مقامها إضافة.[5]

كما أن التعبير بـ"يَوْمِ ٱلدِّينِ" دون "يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ" فيه من المعاني والإيحاءات التي لا توجد في غيرها: فإن الدين بمعنى الجزاء يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم، بل يكاد يتناول النشأة الأولى بأسرها على أن يوم القيامة لا يفهم منه الجزاء مثل يوم الدين.[6]

قال الجرجاني في قوله تعالى: (مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ): "فإن الجزاء يتناول جميع أحوال الآخرة إلى السرمد".[7] ثم إن الدّين له عدة معان: كالجزاء، والحساب، والطاعة، والقهر، يجمعها أصل الانقياد والذُّل كما سبق قريبًا.

[1] سورة مريم: 95.
[2] سورة الانفطار: 19.
[3] سورة غافر: 16.
[4] ينظر: روح المعاني، 115/1.
[5] ينظر: لمسات بيانية، ص 39.
[6] ينظر: روح المعاني، 115/1.
[7] حاشية الجرجاني على الكشاف، 145/1.

فذلك اليوم هو يوم الدين كله، فهو يوم الحساب، وهو يوم الجزاء، وهو يوم الطاعة والخضوع لله، وهو يوم يعزّ فيه أهل الطاعة، ويقهر ويذل فيه أهل المعصية، إلى غير ذلك من المعاني التي تؤديها كلمة الدين، ولا تؤديها كلمة القيامة.[1]

وقال الآلوسي: "وأيضًا للدين معانٍ شاع استعماله فيها كالطاعة والشريعة، فتذهب نفس السامع إلى كل مذهب سائغ، وقد قال بكل هذين المعنيين بعض، والمعنى حينئذ على تقدير مضاف، فعلى الأول يوم الجزاء الكائن للدين، وعلى الثاني يوم الجزاء الثابت في الدين.

وإذا أريد بالطاعة في الأول الانقياد المطلق لظهوره ذلك اليوم ظاهرًا وباطنًا، وجعل إضافة "يوم" للدين في الثاني لما بينهما من الملابسة باعتبار الجزاء؛ لم يحتج إلى تقدير".[2]

وهناك أمر آخر وهو أنّ قوله: (يَوۡمِ ٱلدِّينِ) أنسب لقوله: (رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)؛ وذلك لاشتمال العالمين يوم القيامة على المكلفين ولا بد، وأنسب لأصناف المكلفين التي ذكرتهم السورة من منعَم عليهم، ومغضوب عليهم وضالين؛ لأن من معنى "الدين" الجزاء والحساب والطاعة والقهر، وهذه كلها إنما تكون لهؤلاء، فهو أنسب من يوم القيامة الذي لا يفهم من معناه اللغوي ما يفهم من يوم الدين.[3]

ثم إذا تأملنا في هذه الأسماء والصفات المذكورة واقترانها بالحمد رأينا ما أحسن اقترانها به وما أجمله!. فاستغرق الحمد الزمان كله من الأزل إلى الأبد، ولم يترك منه شيئًا، فكان كقوله: (لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ)،[4] وشمل ذلك قوله: (وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)،[5] وقوله: (وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ

[1] ينظر: لمسات بيانية، ص 38.
[2] روح المعاني، 115/1.
[3] ينظر: لمسات بيانية، ص 39.
[4] سورة القصص: 70.
[5] سورة الزمر: 75.

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ).[1] فلم يترك شيئًا من الحمد إلا ذكره، ولم يترك وقتًا منذ الأزل إلى الأبد إلا استغرقه، فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى أم الكتاب.[2]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدلّ على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، وربّ محمود، ورحمن محمود، وملك محمود".[3]

المطلب السادس: دلالات (العبادة) و(الاستعانة) البيانية في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، والحكمة من الاقتران بينهما: العبادة في اللغة التذلل والخضوع، وهو مشتق من عبَد يعبُد. قال ابن فارس: "العين والباء والدال أصلان صحيحان كأنهما متضادان، والأول منهما يدل على لين وذُلّ، والآخر على شدّة وغِلْظ".[4] وفي الاصطلاح: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله عزّ وجلّ ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.[5] وهي ملازمة للحب والتذلل والخضوع. فعبادة الله تستلزم الحب مع التذلل والخضوع. قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع. والعرب تقول: طريق معبَّد، أي: مذلَّل، والتعبد: التذلل والخضوع. فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًا له".[6]

والاستعانة مشتق من العون، وهي من الاستفعال، ومن معاني الاستفعال المشهورة السؤال والطلب،[7] فهي بمعنى طلب العون والنصر، وهي ملازمة للثقة والاعتماد. قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

[1] سورة يونس: 10.
[2] لمسات بيانية، ص 40-41.
[3] الضوء المنير، 62/1.
[4] مقاييس اللغة مادة "عبد"، 205/4.
[5] ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، 149/10.
[6] بدائع التفسير، 43/1.
[7] ينظر: ارتشاف الضرب، 179/1، والمغني في تصريف الأفعال، ص 149.

"والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإنّ العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به؛ لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به؛ لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به. وقد قرنت العبادة بالاستعانة ليدلّ على أنّ الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله عزّ وجلّ إلا بالاستعانة به عليها، فهم عاجزون عن أدائها الصحيح والقيام بها على الوجه المطلوب إلا بتوفيقه ونصرته. كما جمع بينهما ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته".[1]

والتوكل معنى يلتئم من أصلين: من الثقة، والاعتماد، وهو حقيقة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، وهذان الأصلان- وهما التوكل والعبادة- قد ذكرا في القرآن الكريم في عدة مواضع قرن بينهما فيها".[2]

وعلى هذا فقد أفادت الآية أنّ من شأن المؤمن أن لا يعبد إلا الله، ولا يستعين إلا به، فجميع أنواع عبادته من الصلاة والزّكاة والصيام والحج والذبح والنذر وغير ذلك خاضعة لله، خالصة له ابتغاء لوجهه ومرضاته، وهذا تجريد توحيد الألوهية. كما من شأنه أيضًا أن لا تكون الاستعانة بمختلف أصنافها في شؤونه المتنوعة من طلب الأمور المعنوية والمادية إلا به، وهذا تجريد توحيد الربوبية. فجمع بين الألوهية والربوبية أحسن جمع، وصرفهما لله عزّ وجلّ وحده.

ولو عبر بغير كلمة العبادة والاستعانة لما أدّى هذا المفهوم الشامل كما هو واضح: فالعبادة شملت جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة يحبها الله ويرضاها، والاستعانة شملت جميع أنواع ما يحتاج إليه العبد في تحصيله من نصرة ومعاونة ومساعدة.

---

[1] ينظر: الكشاف، 57/1.

[2] بدائع التفسير، 43/1-44.

المطلب السابع: دلالات (الهداية) البيانية في قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ): الهداية تأتي لعدة معان، منها: الإرشاد والتوجيه والتبيين والدّلالة والإلهام والتوفيق.[1] قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)،[2] فهنا الهداية بمعنى الإرشاد والتوجيه والتبيين والدلالة.

وقال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦)،[3] فهنا الهداية بمعنى الإلهام والتوفيق.[4]

وفعل الهداية قد يعدّى بنفسه كقوله تعالى: (إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا)،[5] وقد يعدّى بـ"إلى" كقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)،[6] وقد يُعدّى باللام كقوله تعالى: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا).[7]

والفرق بين المتعدي بنفسه والمتعدي بالحرف- كما قالوا- أنّ المتعدي بنفسه يقال لمن يكون في الطريق ولمن لا يكون فيه، والمتعدي بالحرف يقال لمن لا يكون فيه، فيوصل بالهداية إليه.[8]

وفعل الهداية عدِّي هنا بنفسه، ولم يعدّ بالحرف؛ وذلك ليشمل المعنيين: فكان طلب الهداية لمن كان في الطريق فيعرَّف به ويبصر بشأنه، ولمن ضل من المؤمنين عن الجادّة فيرد إلى الجادّة.

---

[1] ينظر: لسان العرب مادة "هدي"، 58-60.
[2] سورة الشورى: 52.
[3] سورة القصص: 56.
[4] ينظر: بدائع الفوائد، 445/2-450.
[5] سورة الإنسان: 3.
[6] سورة الشورى: 52.
[7] سورة الأعراف: 43.
[8] ينظر: حاشية الجرجاني على الكشاف، 53/1، وروح المعاني، 123/1-124، والتحرير والتنوير، 187/1.

ثم من هؤلاء المؤمنين الموحدين الحامدين لله من هم على الجادة والطريق المستقيم فيكون المعنى لهم طلب استمرار الهداية على الطريق المستقيم؛ وذلك لأن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهدى ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها.[1] قال ابن القيم رحمه الله:

"إن العبد مفتقر إلى الهداية في كل نفَس، في جميع ما يأتيه ويذره، أصلًا وتفصيلًا وتثبيتًا، ومفتقر إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام، فليس له أنفع ولا هو إلى شيء أحوج من سؤال الهداية، فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يثبت قلوبنا على دينه".[2]

فيكون معنى (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ): عرفنا الطريق الحق، وردنا إليه ردًا جميلًا إذا ما ضللنا أو انحرفنا، وثبتنا على الهدى وزدنا هدى.[3]

وقال ابن القيم رحمه الله بعدما ذكر ما يتعلق بتعدية فعل الهداية بالحرف وبغيره خاصة، وبتعدية الأفعال بالحرف وبغيره عامة، وما فيه من لطائف بيانية ودقائق لغوية: "فإذا عرفت هذا ففعل الهداية متى عدِّي بـ"إلى" تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتي بحرف الغاية، ومتى عدِّي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتي باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، فهم معنى: ذكرته له، وهيأته، ونحو هذا. وإذا تعدّى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإلهام. فالقائل إذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم)، فهو طالب من الله أن يعرفه إياه، ويبينه له، ويلهمه إياه، ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرد الفعل من الحرف، وأتى

[1] ينظر: البحر المحيط، 41/1، وتفسير القرآن العظيم، 132/1، وروح المعاني، 126/1.

[2] بدائع الفوائد، 450/2.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 41/1، وبدائع الفوائد، 445/2-448، وروح المعاني، 126/1، ولمسات بيانية، ص 55.

به مجردا معدّى بنفسه؛ ليتضمن هذه المراتب كلها، ولو عدِّي بحرف تعين معناه، وتخصص بحسب معنى الحرف، فتأمله! فإنه من دقائق اللغة وأسرارها".[1]

المطلب الثامن: دلالات (الصراط) و(المستقيم) البيانية في قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ): وأما كلمة "الصِّراط" فهو مشتق من "سرَطتُ الطّعام، إذا بلعته؛ لأنه إذا سُرِط غاب. واشتقاق الصّراط من ذلك لأن الذّاهب فيه يغيب غَيبة الطَّعام المُستَرَط.[2] قال ابن القيم رحمه الله: "المشهور أنه من "صرَطتُ الشيء أصرُطه" إذا بلعته بلعًا سهلًا، فسُمِّي الطريق صراطًا لأنه يسترط المارّةَ فيه.

والصِّراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقًا، مستقيمًا، سهلًا، واسعًا، موصلًا إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطًا، ولا الصعب المشق، ولا المسدود غير الموصل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك. قال جرير:[3]

أمــير المــؤمنين علــى صــراطٍ　　　إذا اعـــوَجَّ المـــواردُ مســـتقيمِ

وبنوا الصِّراط على زِنة "فِعال": لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط، وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء، كاللِّحاف، والخِمار، والرِّداء، والغِطاء، والفِراش، والكِتاب، إلى سائر الباب".[4]

ولذا فقد اختيرت هنا كلمة (الصِّراط) دون كلمة (الطريق) أو كلمة (السبيل)؛ وذلك لأن (صِراط) على وزن (فِعال)، وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال، فيشتمل على كلّ السالكين، ولا يضيق بهم؛ لرحبه وسعته.[5] بخلاف كلمة (طريق)،

---

[1] بدائع الفوائد، 2/423-425.

[2] ينظر: مقاييس اللغة مادة "سرط"، 3/152، ولسان العرب مادة "سرط"، 6/240.

[3] ديوان جرير، ص 411 .

[4] بدائع الفوائد، 2/416-417.

[5] ينظر: بدائع الفوائد، 2/416-417، ومعاني الأبنية في العربية، ص 62.

فإنها (فعيل) بمعنى مفعول من (طرق) بمعنى مطروق، وكذلك (سبيل)، فهي أيضًا كأنها (فعيل) بمعنى مفعول من أسبلت الطريق إذا كثرت سابلتها، والسابلة من الطرق المسلوكة، يقال: سبيل سابلة، أي مسلوكة.[1] هذا مع المعاني والدلالات الأخرى التي تشتمل عليها كلمة "الصراط" دون كلمتي "الطريق" و "السبيل".

وعلى هذا فلا تدلان- أعني: كلمتي الطريق والسبيل- في صيغتهما على المعاني التي تدل عليها كلمة (الصِّراط).[2]

وليس معناه أنه لا تُستخدم كلمة (السبيل) وكلمة (الطريق) للطريق الحق، بل ذلك كله تابع لاقتضاء الحال، فقد يكون استخدام كلمة في مكان أحسن بالموضع، وأوفى بالمراد، وأنسب بالسياق دون مكان، وكل ذلك خاضع للسياق واقتضاء الحال.

ومن الملاحظ أنّ "الصراط" جاء هنا مفردًا معرّفًا بتعريفين: بالألف واللام والإضافة؛ وذلك للدلالة على أنه صراط واحد فليس ثمة صراط آخر، وهو الصراط المعروف الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من المؤمنين.

قال ابن القيم رحمه الله: "وذكر الصراط المستقيم منفردًا معرفًا بتعريفين: تعريفًا باللام، وتعريفًا بالإضافة، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه، وأنه صراط واحد. وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ).[3] فوحّد لفظ الصراط وسبيله، وجمع السبل المخالفة له...؛ وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق. ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق

---

[1] ينظر: لسان العرب مادة "سبل"، 162/6، ومعاني الأبنية في العربية، ص 53-54.

[2] ينظر: بدائع الفوائد، 416/2-417، ولمسات بيانية، ص 58.

[3] سورة الأنعام: 153.

عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله، موصل إلى الله".[1]

وقال الرازي: "اعلم أنّ أهل الهندسة قالوا: الخط المستقيم هو أقصر خط يصل بين نقطتين. فالحاصل أنّ الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة، فكأن العبد يقول: (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) لوجوه:

الأول: أنه أقرب الخطوط وأقصرها، وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم.

والثاني: أن المستقيم واحد، وما عداه معوجة، وبعضها يشبه بعضًا في الاعوجاج، فيشتبه الطريق علي، أما المستقيم فلا يشابهه غيره، فكان أبعد عن الخوف والآفات، وأقرب إلى الأمان.

والثالث: الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود، والمعوج لا يوصل إليه.

والرابع: المستقيم لا يتغير، والمعوج يتغير.

فلهذه الأسباب سأل الصراط المستقيم، والله أعلم".[2]!.

ثم ميز الله هذا الصراط وزاده بيانًا وتوضيحًا بقوله: (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)، فهو غير صراط الذين غضب الله عليهم- وهم اليهود-، ولا الذين ضلوا- وهم النصارى-.

فعرّفه بأل والإضافة. ثم وصفه بالمستقيم. والمستقيم اسم فاعل من استقام، ومن معاني "استفعل" المطاوعة، وهو هنا مطاوع أقمته فاستقام، أو قوّمته فاستقام.[3]

والمستقيم هو المعتدل المستوي الذي لا عوج فيه،[4] فإذا كان الصراط متضمنًا لمعنى الاستقامة- كما سبق قريبًا- صار الوصف بها تأكيدًا مزيدًا لهذا المعنى، وتوضيحًا أكثر له.

[1] بدائع التفسير، 35/1-36.

[2] التفسير الكبير، 208/1.

[3] ينظر: ارتشاف الضرب، 179/1، والتحرير والتنوير، 191/1، والمغني في تصريف الأفعال، ص 151.

[4] ينظر: لسان العرب مادة "قوم"، 356/11، والتحرير والتنوير، 191/1.

المطلب التاسع: دلالات (أَنْعَمْتَ) و (ٱلْمَغْضُوبِ) و (ٱلضَّآلِّينَ) البيانية في قوله تعالى: (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ): إذا تأملنا وجدنا أنّ في التعبير بكلمات "أَنْعَمْتَ" و "ٱلْمَغْضُوبِ" و "ٱلضَّآلِّينَ" أيضًا من الدِّلالات ما لا توجد في غيرها من مرادفها.

وتفصيل ذلك أنّ كلمة "أَنْعَمْتَ" فعل ماض، مشتقة من الإنعام، والإنعام مادتها "نعم"، والنون والعين والميم على كثرة فروعها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفُّه وطيب عيش وصلاح، ومنه: النِّعمة، وهي ما ينعم الله تعالى به على عبده من مال وعيش وطيب وصلاح في الحياة، يقال: لله عليه نعمة. والنّعمة: المِنَّة.[1]

ومن هنا فكانت كلمة الإنعام شاملة لمعاني النعمة ومفهومها المختلفة المناسبة لأحوال الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين بلفظها، وأكبر هذه النعمة نعمة الإسلام، وهداية الصراط المستقيم. فهي أنسب لهذا المقام وأليق به. ولو كانت مكانها كلمة الإكرام أو الإحسان أو الإفضال أو غيرها من مرادف الإنعام لما أدّت ما أدّتها كلمة الإنعام من المعاني، وما أوفت بالمراد. ثم كلمة الإنعام بادية منها النعمة لصلتها بها اشتقاقًا، وهي كلمة عامة تشمل جميع النعم المناسبة لحال المنعم عليه، فجمعت الكلمة بين الدلالتين: اللفظية والمعنوية.

كذلك فإن الإنعام متضمِّن للشكر- بخلاف الإحسان وغيره- الذي يجب وجوب الدَّين، وبالشكر تبقى النعمة وتدوم.[2]

وعلى هذا فكان الإنعام هنا أوفى بالمراد، وأليق بالسياق؛ إذ فيه ذكر لإنعام الله على الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وطلب الصراط المستقيم الذي أنعم الله به على هؤلاء في جملة النعم المنعمة بها عليهم، فإذا حصل ذلك استوجب الشكر منهم؛ لأن الإنعام يستوجب الشكر. فجمعت السورة بين الحمد والشكر.

[1] ينظر: مقاييس اللغة مادة "نعم"، 446/5.
[2] ينظر: الفروق اللغوية، ص 218.

كذلك كلمة "ٱلْمَغْضُوبِ"، فإنها اسم مفعول، مشتقة من الغضب. قال ابن فارس: "الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدّة وقوة. يقال: إن الغَضْبةَ: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتُقَّ الغَضَب؛ لأنه اشتداد السُّخط".[1]

فلما كان الأمر متعلقًا باليهود كانت كلمة الغضب أنسب لهم؛ لما فيها من شدة وقوة؛ وذلك لأنهم عرفوا الحق ثم جحدوا به وأنكروه. فإن قيل: لِمَ لم يعبِّرْ هنا بكلمة "السخط" دون الغضب، والمعنى متقارب؟ قيل: إنّ الغضب يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير، بخلاف السّخط فإنه يكون من الكبير على الصغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولا يقال سخط الحاجب على الأمير.[2]

ومن هنا فإنّ السياق أدعى للغضب؛ لأن المغضوب عليهم غضب الله عليهم، وغضب عباده الصالحون عليهم، ومن العباد من كان صغيرًا غضب على الكبير، ومنهم من كان كبيرًا غضب على الأصغر منه، فاشتملت على الجميع، بخلاف لو عبر بالسخط أو نحوه.

ثم إن كلمة "الغضب" تدل على الشّدة والقوّة- كما سبق-، وهي في نفسها شديدة لما اشتملت على الغين والضاد والباء، وكلها من الحروف المجهورة.[3] بخلاف كلمة "السخط" فهي أقل درجة من الغضب- كما سبق-، وهي في نفسها أضعف من السخط لاشتمالها على السين والخاء، وهما من الحروف المهموسة، وليس فيها من الحروف المجهورة إلا الطاء.[4]

فكلمة الغضب هي المناسبة لفظًا ومعنًى للمقام، وهي المطابقة لمقتضى الحال.

فائدة: قالوا إنّ الغضب عند حكماء الأخلاق مبدأ الشجاعة، والشجاعة جزء من مجموع الأخلاق الثلاثة الأصلية، وهي الحكمة، والعِفّة، والشجاعة التي يعبَّر عن جميعها بالعدالة.

---

[1] مقاييس اللغة مادة "غضب"، 428/4.

[2] ينظر: الفروق اللغوية، ص 148.

[3] ينظر: سر صناعة الإعراب، 119/1، و 213/1، و 243/1.

[4] المصدر نفسه، 183/1، و 197/1، و 217/1.

والغضب الذي يوصف به الله عزّ وجلّ هو الغضب الذي تقتضيه الشجاعة، وتوجبه الحكمة.[1] والله ﷻ يتصف بصفة الغضب كما يليق بجلاله، فالصفة ثابتة، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

وكذلك كلمة "ٱلضَّآلِّينَ"، فإنها مشتقة من الضلال. قال ابن فارس: "الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه. ... ومما يدل على أنّ الأصل ما ذكرناه قولُهم: أُضِلّ الميّتُ، إذا دُفِن. وذاك كأنه شيء قد ضاع".[2]

وإذا تأملنا في الآية وما تهدف إليه من المعاني وجدنا أن كلمة "ٱلضَّآلِّينَ" وقعت في موقعها، فهي بنفسها تشعر بذهاب هؤلاء بعيدين عن الصراط المستقيم، ومن ثم ضياعهم، ومن ثم هلاكهم.

فإن قيل: لِمَ لم يعبِّرْ هنا بكلمة "الغي" دون الضلال، والمعنى متقارب؟ قيل: إنّ أصل الغي الفساد، وأصل الضلال الهلاك.[3] فكأنّ- والله تعالى أعلم- في التعبير بالضلال إشعارًا بهلاك انصارى ومن شايعهم إذ ضلوا عن الصراط المستقيم، فكأنه قيل فيهم: الضالين الهالكين بسبب ضلالهم عن الحق. ولا شك في أنّ من ضل عن الصراط المستقيم فقد ضاع وهلك.

المبحث الثالث

دلالات التراكيب في سورة الفاتحة

المطلب الأول: دلالات تركيب (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) في قوله تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ):

إذا تأملنا وجدنا أن قوله: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) هنا أدقّ وأوفى بالمراد من (إنّ الحمد لله) بتأكيد؛ وذلك لأنّ المقام ليس مقام الشك أو الإنكار المقتضي للتوكيد، بل هو

---

[1] ينظر: الفروق اللغوية، ص 149، والتحرير والتنوير، 198/1.

[2] مقاييس اللغة مادة "ضل"، 356/3.

[3] ينظر: الفروق اللغوية، ص 240.

ثابت ومستقر في النفوس على سبيل البديهيات، وإنما جيء به هنا لتوجيه المؤمنين الذين يقرّون بذلك، ويعملون على مقتضاه.

ثم إن قوله: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) خبر يتضمن إنشاء،[1] فهو أولى من (إن الحمد لله)؛ لأنه خبر محض، فجمع في قوله: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) المعنيين: الخبر والإنشاء.

و(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) كذلك أولى من (أحمدُ الله)؛ لكونها جملة اسمية تدل على الثبوت والدوام، بخلاف الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث؛ فإنّ المحامد كلها ثابتة له جلّ في علاه، كما أنها دائمة مستمرة.

ثم نجد أنه تعالى لم يقل هنا (لله الحمد)؛ لأنه يدل على الاختصاص، والحمد ليس خاصًا بالله: فقد يحمد الرّجلُ الرّجلَ لصنيعه الجميل.

وهذا لا يعني أنه لا يقال: (ولله الحمد) مطلقًا؛ لأنّ الحاكم هو السياق، فقد يكون (لله الحمد) أولى من (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ)؛ لاقتضاء المقام ذلك، فإذا اقتضى المقام قدِّم، وإذا اقتضى المقام أخِّر، وباب التقديم والتأخير في البلاغة باب دقيق لطيف كما هو مشهور، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما هو معروف.

المطلب الثاني: دلالات التراكيب في قوله تعالى: (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ): نلاحظ أنّ الله تعالى أضاف الصراط هنا إلى الذين أنعم عليهم، فعرفه بالإضافة بعدما عرفه بأل- كما سبق آنفًا-، ثم ميزه بضدِّه بقوله: (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)،- وبضدها تتميز الأشياء-، فصار معروفًا متميزًا عن غيره أحسن تمييز.

وإذا تأملنا في التعبير الدقيق في قوله: (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ) وفي قوله: (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) وجدنا أنّ التعبير في الأول بالفعل الماضي، وفي الثاني بالجملة الاسمية.

---

[1] ينظر: روح المعاني، 102/1، والتحرير والتنوير، 161/1-162.

فأما التعبير بالفعل الماضي في (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ) فذلك ليتعين زمانه، وليتبين أنّ المقصود صراط الذين ثبت إنعام الله عليهم وتحقق، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون كما قال تعالى: (فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا).[1]

ولو قال: (صراط الذين تنعم عليهم) لأغفل كلّ من مضى من رسل الله والصالحين، بل لم يفد أنه أنعم على أحد قبله، بخلاف الماضي، فإنه أحاط بمن مضى من الرسل والصالحين، وأفاد بإنعامه على من مضى.

كما أن الإتيان بالفعل الماضي يدل على أنه كلما مرّ الزمن كثر عدد الذين أنعم الله عليهم؛ وذلك لالتحاق الحاضر بالماضي، فتتسع دائر المنعم عليهم، بخلاف (صراط الذين تنعم عليهم) فإن الزمن فيه محدد، ولربما كان عدد المنعم عليهم قليلًا.

وأما التعبير بالجملة الاسمية في (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) فذلك ليشمل سائر الأزمنة، ويدلّ على الثبوت والدوام.

فإن قيل: ولِمَ لَمْ يقُل: (صراط المُنعَم عليهم)؛ ليشمل سائر الأزمنة، ويدل على الثبوت والدوام؟. فالجواب: أنّ لكل مقام مقالًا، ولكل تعبير موضعًا.

فلو قال: (المُنعَم عليهم) لم يتبين المنعِم الذي أنعم عليهم، والنعمة إنما تقدر بقدر المنعِم، فيختلف مستوى الإنعام باختلاف المنعِم: فإنعام الأمير غير إنعام أحد الرعية، وإنعام السلطان غير إنعام أحد أفراد المجتمع.

وكذلك من حيث التكريم، فإن الذي يكرمه الأمير وينعم عليه غير الذي يكرمه أحد أفراد الرعية.[2]

[1] سورة النساء: 69.

[2] ينظر: البحر المحيط، 49/1، وبدائع الفوائد، 2/421-422، ولمسات بيانية، ص 64.

وكذلك نلاحظ أنه صرّح بالفاعل في قوله: (أَنْعَمْتَ)، ونسب الإنعام إليه مباشرة، ولم يصرح به في المغضوب عليهم ولا الضالين؛ وذلك لأن الله ينسب الخير إلى نفسه مباشرة، ولا ينسب الشر إلى نفسه مباشرة. قال تعالى: (وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)،[1] فلم ينسب الشر إلى نفسه مباشرة، بخلاف الخير فقد نسبه إلى نفسه مباشرة.

كذلك فإنّ في بناء "المغضوب" على المجهول فيه دلالة على عموم الغضب من الله ﷻ، ومن الغاضبين لله، بل وممن والاهم في الدنيا، فسينقطع حبل مودتهم في الآخرة؛ لأنها لم تبن في الله ولله. فكان كل من التعبيرين في محله ومكانه.[2]

كذلك نلاحظ أنه أتى في أهل الغضب باسم المفعول، وفي الضالين باسم الفاعل؛ وذلك لأنّ المغضوب عليهم من غضب الله عليهم، ومن غضب عليهم عباده الصالحون لله وفي الله، فهم مغضوب عليهم.

وأما أهل الضلال فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه؛ ولهذا استحقوا العقوبة عليه، ولا يليق أن يقال: ولا المُضَلّين مبنيًا للمفعول؛ لما في رائحته من إقامة عذرهم، وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم بل فُعِل فيهم.[3] قال ابن القيم رحمه الله: "فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه، والضلال منسوبًا إلى من قام به، والغضب محذوفًا فاعله".[4]

كذلك نلاحظ أنه قال: (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) بلفظ "غير" دون "لا"؛ وذلك لما "قيل: في ذكر "غير" بيان للفضيلة للذين أنعم عليهم، وتخصيص لنفي صفة الضلال والغضب عنهم، وأنهم الذين أنعم عليهم بالنبوة والهدى دون غيرهم، ولو قال: (لا المغضوب عليهم) لم يكن في ذلك إلا تأكيد نفي إضافة الصراط إلى المغضوب عليهم،

---

[1] سورة الجن: 10.

[2] ينظر:البحر المحيط، 1/ 49، وبدائع الفوائد، 2/420-422، ولمسات بيانية، ص 63-65.

[3] ينظر: بدائع الفوائد، 2/442-443.

[4] المصدر نفسه، 2/725.

كما تقول: "هذا غلام زيد لا عمرو"، أكدت نفي الإضافة عن عمرو، بخلاف قولك: "هذا غلام الفقيه غير الفاسق ولا الخبيث"، فكأنك جمعت بين إضافة الغلام إلى الفقيه دون غيره، وبين نفي الصّفة المذمومة عن الفقيه، فافهمه"![1]

كذلك نلاحظ أنه قال: (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) بذكر "لا" بينهما، ولم يقل: (غير المغضوب عليهم والضالين) بدون لا؛ وذلك لتأكيد النفي الذي تضمنته كلمة "غير"، ولئلا يتوهم أنّ المنفي هو المجموع، فيُجوِّز ثبوتَ أحدهما.[2]

المطلب الثالث: ارتباط قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) بأول السورة، ووسطها، وآخرها، وما في ذلك من دلالات لطيفة: إذا تأملنا في ارتباط قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) بأول السورة، ووسطها، وآخرها وجدنا أنه:

ارتبط بقوله: (رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)؛ لأنّ من معاني الرب المربي، ومن مهام المربي الهداية. وارتبط بقوله: (ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)؛ لأن من هداه الله فقد رحمه. وارتبط بقوله: (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ)؛ لأنّ العبادة ينبغي أن تكون على الطريقة الصحيحة التي يرتضيها الله عزّ وجلّ. وارتبط بقوله: (وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ)؛ لأن من الاستعانة طلب الهداية، والثبات عليها. وارتبط بقوله: (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) لأنهم تائهون عن الطريق، السالكون غير جادّة الحق.[3]

ثم اعلم "أنّ مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان، وهما الضلال، والغضب. فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد. وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم يتضمن الشفاء من مرض الضلال...

---

[1] المصدر نفسه، 1/351-352.

[2] ينظر: بدائع الفوائد، 2/443-444، وحاشية الجرجاني على الكشاف، 1/57، والتحرير والتنوير، 1/198.

[3] ينظر: لمسات بيانية، ص 57-58.

والتحقيق بـ(إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ) علمًا ومعرفة وعملًا وحالًا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد... ثم إنّ القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد، وهما: الريا، والكبر. فدواء الرياء بـ(إِيَّاكَ نَعۡبُدُ)، ودواء الكبر بـ(وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ)...، فإذا عوفي من مرض الرياء بـ(إِيَّاكَ نَعۡبُدُ)، ومن مرض الكبر والعجب بـ(وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ)، ومن مرض الجهل بـ(ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ)؛ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمّت عليه النعمة، وكان من المنعَم عليهم غير المغضوب عليهم، وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين، وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه".[1]

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه دراسة بيانية تحليلية تدور حول سورة الفاتحة في ألفاظها وتراكيبها، وتحاول الكشف عن بعض وجوهها البلاغية، وقد توصلت- ولله الحمد- من خلال الدِّراسة والبحث في الموضوع إلى نتائج، منها:

1. الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة لها دلالات واسعة عميقة تلفت نظر المتأمل، وتدهش الدارس.
2. تشدّ سورة الفاتحة الانتباه إلى الجوانب البلاغة والوجوه البيانية والمعاني البديعة التي اشتملت عليها السورة لكثرتها مع قصرها.

1 بدائع التفسير، 41/1. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الممتع المسمى بـ"بدائع الفوائد" أكثر من عشرين وجهًا لغويًا تكشف عن دقائق قوله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۞)، وهي في غاية الجودة ونهاية الإفادة، جديرة بالقراءة والدرس. (ينظر على سبيل المثال: بدائع الفوائد، 351/1-352، و 406/2-453، و 725/2).

3. الدقائق اللغوية، والتراكيب اللطيفة، والنُّظم البديعة التي اشتملت عليها سورة الفاتحة كثيرة، جديرة بالنظر والبحث والدراسة التفصيلية.

أشكر الله مرة أخرى على ما وفقني لإنجاز هذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز، داعيًا أنْ ينفعنا به، ويوفقنا دائمًا لما فيه خيرا الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادروالمراجع

1. ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي (تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 1، 1418هـ-1998م.
2. الاشتقاق لابن دريد (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية، ط 1، 1426هـ،
4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) للقاضي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1427هـ-2006م.
5. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1423هـ-2002م.
6. بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية (جمعه: يسري السيد محمد)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط 1، 1427هـ
7. بدائع الفوائد للإمام ابن القيم (تحقيق: علي بن محمد العمران)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية، ط 2، 1427هـ
8. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.
9. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (تحقيق: محمد كامل بركات)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1387هـ-1967م.
10. تفسير أسماء الله الحسنى للزّجاج (تحقيق: أحمد يوسف دقاق)، دار الثقافة العربية، دمشق، سوريا، د.ت.
11. تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي (تحقيق: عبد الرّزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1423هـ-2002م.
12. التفسير الكبير = مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1425هـ_2004م.

13. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (تحقيق: عبد السلام محمد هارون وزملائه)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، في عدة سنوات.
14. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لابن جرير الطبري (تحقيق: محمود محمد شاكر)، دار المعارف، مصر، ط 2.
15. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي بكر القرطبي (تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي)، مؤسسة الريالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1427ه2006م.
16. حاشية الجرجاني على الكشاف للزّمخشري (بهامش كتاب الكشاف)، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
17. حاشية الهوريني على القاموس المحيط (المطبوع مع القاموس المحيط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1428هـ-2007م.
18. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط)، دار القلم، دمشق، سوريا، 1424هـ-2003م.
19. ديوان جرير، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
20. روح المعاني لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي (تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السّلامي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.
21. سر صناعة الإعراب لابن جني (تحقيق: الدكتور حسن هنداوي)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 2، 1413هـ-1993م.
22. سفر السعادة لعلم الدين السّخاوي (تحقيق: الدكتور محمد أحمد الدّالي)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 2، 1415هـ-1995م.
23. الضوء المنير على التفسير (مباحث تفسيرية من كتب الإمام ابن القيم)، جمعه: علي الحمد الصالحي، مؤسسة النور للطباعة والنشر، دخنة، القصيم، السعودية، بالتعاون مع مكتبة السلام، الرياض، السعودية.
24. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1420هـ-1999م.

25. الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري (تحقيق: باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1421هـ-2000م.
26. القاموس المحيط للفيروزآبادي (تعليق وحاشية: أبو الوفاء نصر الهوريني)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1428هـ-2007م.
27. كتاب سيبويه (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1.
28. الكشاف للزّمخشري (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1421هـ-2001م.
29. لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 1419هـ-1999م.
30. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 4، 1428هـ-2007م.
31. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (تحقيق: علي النجدي الناصف وزملائه)، دار سزكين للطباعة والنشر، إستانبول، تركيا، ط 2، 1406هـ-1986م.
32. المخصص لابن سيده الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1398هـ-1978م.
33. معاني الأبنية في العربية للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2، 1428هـ-2007م.
34. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: الدكتور سعيد الأفغاني)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1425-1426هـ-2005م.
35. المغني في تصريف الأفعال للدكتور محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط 2، 1420هـ-1999م.
36. مقاييس اللغة لابن فارس (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1411هـ-1991م.
37. نتائج الفكر لأبي القاسم السُّهيلي (تحقيق: محمد إبراهيم البنا)، مكة المكرمة، السعودية، 1984م.